مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الجمهورية

التاريخ : ١٩٧٢/١١/٢

وقفة مع الصين

وظلال ضد العدو

٢١١٤٤

فى ٨ يوليو الماضى ، اتخذ الرئيس السادات مجموعة من القرارات ، تتعلق بالعلاقات المصرية السوفيتية .. وحرص الرئيس السادات على أن يصف تلك القرارات ، بوصف محدد واضح ، هو أنها ((وقفة موضوعية مع الصديق))

وكان معنى هذا التحديد ، أولا .. هو انها ((وقفة)) وليست قطيعة .. وان هذه الوقفة موضوعية .. وانها تتم فى اطار ((الصداقة)) المصرية السوفيتية ، التى حللها الرئيس السادات كثيراً .. ومن قبله أيضا حللها القائد الخالد .. ليدرك الشعب ، ابعادها الحقيقية ، باعتبارها صداقة استراتيجية .. لا تاكتيكية ، ولا مرحلية ..

وكانت « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. تقوم على قرارات ، او بنود ثلاثة .. البندان او القراران الاولان ، يتصلان اتصالا مباشرا ، بحقوق السيادة المصرية ، وقد نفذا على الفور من جانب الاتحاد السوفييتى ، لان الصداقة القائمة بين الدولتين ، كان اساسها الاول دائما ، هو احترام حقوق السيادة المصرية ، وان هذا الاساس ، لو انه مس من قريب او من بعيد ، لانقلبت الصداقة ، الى نوع ما ـ ؟ يا كانت درجته ـ من التبعية وهو مالا يمكن ان تقبله مصر ، ومالم يخطر ببال الاتحاد السوفييتى ، لدى اعلانه بقرار « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. فما بين مصر ، وبين الاتحاد السوفيتى كان صداقة وتعاونا يقومان على اساس موقف نضالى مشترك ضد الامبريالية والاستعمار ، ومن اجل صيانة السلام العالمى ، ودعم وتاييد حركات التحرر الوطنى ، والقضاء على التفرقة العنصرية ، واستقلال الانسان للانسان ..

حقوق السيادة المصرية

ومن خلال هذا الفهم « السوفييتى » لحدود وابعاد واسس الصداقة المصرية السوفيتية ، كان اسراع الاتحاد السوفييتى ، الى تنفيذ البندين الاولين من بنود « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. وهما البندان اللذان يمثلان حقا من حقوق السيادة المصرية .. حتى لقد كان اسراعه فى تنفيذهما ، موضع ملاحظة من البعض .. لماذا اسرع هكذا فى التنفيذ قبل المواعيد المحددة .. وحتى لقد حلا لهذا البعض ان يصف اسراع الاتحاد السوفييتى الى تنفيذ هذين البندين ، بانه تعبير عن الغضب يؤخذ عليه .

وبقى القرار او البند الثالث من بنود « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. وهو البند الذى يتضمن دعوة الرئيس السادات الى عقد اجتماع على اى مستوى من المستويات ، لبحث الجوانب الموضوعية التى كانت من أجلها هذه الوقفة .. وهو بند يختلف عن

البندين الاولين ، فى أنه لا يتعلق بحقوق السيادة المصرية ، أو السيادة السوفييتية .. ولكنه يتعلق بارادة كلا الطرفين ، فى استمرار الصداقة ودعمها ببحث أوجه الخلاف الموضوعى بينهما ، واستبدالها بأوجه اتفاق واضح تزداد به الصداقة « الاستراتيجية » عمقا ، وتجرى فيه العلاقات فى مجرى لا يكتنفه فى اى جزء من أجزائه غموض أو التواء أو عقبات ..!

موقف وطنى وموضوعى

هكذا فهمت انا قرار الرئيس السادات ، وهو القرار النابع من موقف وطنى وموضوعى ، دعت اليه ضرورات استعدادنا لخوض معركة المصير ، التى نواجهنا فيها اسرائيل مزودة بمدد لا ينقطع ، ولا يتوقف تصاعده من السلاح الامريكى الذى تعلن أمريكا اصرارها على المحافظة به على التفوق العسكرى لاسرائيل فى الشرق الاوسط ..

وخلال الفترة التى انقضت ما بين يوم ٨ يوليو ، يوم « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. وبين زيارة الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء المصرى ، لموسكو ، واجتماعه بالقادة السوفييت .. كانت هناك عدة ظواهر ، او عدة عوامل ، بعضها عرفه الشعب اخيرا ، وبعضها كان واضحا وضوح الشمس ..

فما عرفه الشعب أخيرا ، هو أن الاتحاد السوفييتى ، لم يتوقف من تنفيذ تعاقداته السابقة فى مواعيدها المحددة ..

وقد صرح بذلك بوضوح السيد وزير الحربية ، فى لقائه يوم الاثنين الماضى ، مع قادة وضباط القوات المسلحة المصرية ..

وما كان واضحا وضوح الشمس ـ خلال الفترة بين يوم ٨ يوليو وبين زيارة الدكتور عزيز صدقى لموسكو ـ ان هناك عناصر فى الوطن العربى ، بعضها داخل مصر ، وبعضها خارج مصر ، تتمنى ، ولعلها تعمل بما تقول او بما تكتب حتى يتعذر تنفيذ البند الثالث من « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. لعل وعسى ..

لعل دبيب الحياة يتوقف فى أوصال هذه الصداقة .. وعسى أن تتحول « الوقفة الموضوعية » الى قطيعة او مهاترة .. أو أن ينتقل الاتحاد السوفييتى ، الى قائمة اعدائنا ، وما اقلهم .. ويختفى من قائمة اصدقائنا .. وما اكثر مالنا من اصدقاء !!!

وهذه العناصر ، كثيرة فى وطننا العربى ، لا استثنى جزءا من أجزائه دون الاجزاء الباقية .. بعضهم ، يتمتع بالرسمية ، وبعضهم يعبر عن بعض الاتجاهات أو رؤوس الاموال الامريكية ، والاحتكارات البترولية .. بعضهم ينطق باللسان وبعضهم ينشر فيما يملك أو يريد من مجلات أوصحف .. وبعضهم يهمس تقطر زعافا !!

والبعض ، وهذا اخطر ، يبشر بوجوب تغيير موقفنا من أمريكا ، وفتح قلوبنا لالمانيا الغربية .. حتى

ان اصرت امريكا على التصاعدبعدائها للعرب ، وحتى ان اغلقت المانيا الغربية ابواب سجونها على أىعربى تستطيع ان تجد حجة للزج به وراء القضبان ، وطاردت كل عربى ،يعمل او يتعلم فى أراضيها ، الى خارج الحدود ..

ومن المستفيد من هذا الموقف ؟

اسرائيل وامريكا .. ولا أحد غير اسرائيل وامريكا ..

ولكن كيف يحققون أهدافهم أو يبغلون بهمساتهم أسماع رجل الشارع المصرى ..

طبعا بحملات الاستفزاز العالية الصوت ، التى راحوا يوجهونها ضد الاتحاد السوفييتى .. والتى تدور حول محاور معينة ..

والتقولات التى افعلت بها صحف بيروت وغيرها حينا .. وما عادت تمتلىء به ، عقبزيارة الدكتور عزيز صدقى للاتحاد السوفييتى .. ونجاحها فى فتحالبابالى اجتماعات على مستوى القمة ، يحضر فيها قادة الاتحاد السوفييتى بانفسهم الى القاهرة .. دون حاجة الى أرض وسيطة ، كدمشق او بغداد أو عدن أو كما قيل .. بلغراد !!

وكان الرئيس السادات .. فى اطار مسئوليته الوطنية والقومية الكبرى ـ وفى اطار معرفته الوثيقة بحقائق وتطورات واسس العلاقات المصرية السوفييتية منذ يومها الاول قد أعلن قبل زيارة الدكتور عزيز صدقى لموسكو ، أنه يريد لهذه الزيارة ان تنجح ..

منطق الوطنية المصرية

وانور السادات ، ينطلق فيما يصدر من قرارات .. وفيما يعلنه من ارادة .. من منطلق واحد لا يعرف ، ولم يعرف طيلة حياته منطلقا غيره ، هو منطلق الوطنية المصرية ، والقومية العربية ، ومصالح وحرية الارض العزيزة ، التى نشأ ونما عليها ، ومارس الكفاح من اجلها ، فدائيا وسجينا وشريدا ، وعضوا فى قيادتها الثورية ، ورئيسا لجمهوريتها ..

وهذا تاريخه كله ، مكتوب ، ومسطور ، ومشهور .. منقوش فى صحف مصر قبل الثورة ، ومسطور بالعمل والعرق والكفاح ، فى تاريخ الثورة المصرية التحررية الكبرى .

وهو عندما وقف « الوقفة الموضوعية مع الصديق » .. كان ينطلق فى هذه الوقفة من هذا المنطلق المصرى العربى .. المنطلق الوطنى والقومى وحده ..

وعندما اراد لزيارة الدكتور عزيز صدقى ان تنجح .. كان ينطلق من نفس المنطلق ..

انه نفس المنطلق ، الذى انطلق منه وهو ضابط صغير بين جنوده فى مرسى مطروح اثناء الحرب العالمية الثانية عندما رفض تسليم سلاحه وسلاح مجموعته للانجليز ، متحديا بذلك الاوامر الصادرة اليه من قيادته العسكرية ..

وهو نفس المنطلق ، الذى من أجله سجن وتشرد ، مكافحا من اجل حرية مصر ، وسيادتها ، ابان ، وبعد الحرب العالمية الثانية .

وهو نفس المنطلق الذى اندفع فيه الى صفوف أول مجموعة من مجموعات الضباط الاحرار ، يعدون للثورة قبل قيامها بثلاثة عشر عاما ..

ولن يكون له فى هذه الايام منطلق غيره .. ومن أجل أى شىء ؟!!

ولكن الهمس لا يزال يدور ..

وصحيح ان هناك خلافا موضوعيا هو ذلك الذى ادى الى « الوقفة الموضوعية مع الصديق » يوم ٨ يوليو .. وهو ذلك الذى سيوضع على مائدة مباحثات القمة ، يوم يحضر القادة السوفييت الى القاهرة ..

ولكن هناك شىء أخر صحيح .. هو اننا لانشعر بمعنى للحياة واسرائيل تحتل أراضينا .. الا اذا كان هذا المعنى ، هو اننا نعمل لتحرير هذه الاراضى الغالية ..

وهذه الاراضى ، لاتحتلها اسرائيل ، الا بالمعونة الامريكية والسلاح الامريكى ..

وان حقنا فى تحرير هذه الارض ، لايعاوننا على ممارسته بجميع الوسائل ، بين القوى العظمى ، الا الاتحاد السوفييتى ..

وعلى الذين ، يحرسون المصالح الامريكية فى أرضنا العربية ، ويقومون بحماية الاحتكارات الامريكية والاستزادة منها ، أن يدركوا أنهم يصبحون شركاء لامريكا فى دعم اسرائيل وتمكينها من المضى فى اغتيال حقوق الشعب الفلسطينى ، واحتلال الاراضى العربية ، ومن بينها اجزاء من ارض مصر الغالية ..

ولسنا نحن ، من هذا الصنف من العرب .. ولن نكون .. اننا قد نختلف مع الصديق ، ونقف معه - عند الخلاف « وقفة موضوعية » فى اطار الصداقة ..

سامى داود